ح الدار الصولتية للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشهري، صالح بن علي أبو عرّاد

مقدمة في التربية الإسلامية / صالح بن علي أبو عرّاد الشهري

الرياض، ١٤٢٤هـ

١٤٤ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٩-٢١-٨٤١-٩٩٦٠

١ - التربية الإسلامية أ - العنوان

ديوي ٣٧٧.١ ١٤٢٤/٢٩٠٠

رقم الإيداع: ٢٤/٢٩٠٠

ردمك: ٩-٢١-٨٤١-٩٩٦٠

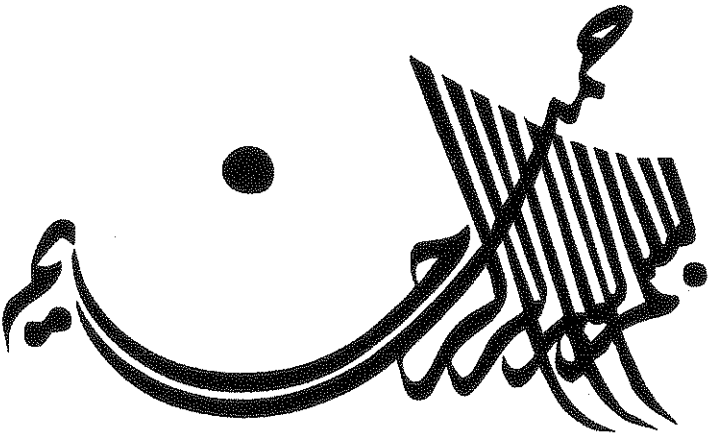

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على صاحب الغُرة والتحجيل ، المعلم الجليل ، المؤيد بجبريل ، المذكور في التوراة والإنجيل ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم جيلاً بعد جيل . أما بعد :

فما من قضيةٍ شغلت الأفراد والمجتمعات في مختلف العصور بمقدار ما شغلتهم قضية التربية ، وما ذلك إلا انطلاقاً من أهمية التربية التي تحظى في كل زمانٍ ومكانٍ باهتمامٍ كبيرٍ وعنايةٍ بالغة ، لا سيما وأنها تُعد ركيزة أساسية ومنطلقاً رئيساً للبناء الثقافي والحضاري للأُمم .

وحيث إن التربية من أقدم الظواهر الحية التي بدأت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض ؛ فإن هذا يعني أن المجتمعات البشرية قد انشغلت بها منذ القِدم ؛ إلا أنها على الرغم من ذلك لم تتبلور في مفهومٍ واحدٍ أو تتوحد في إطارٍ مُحدد الأبعاد حيث كثُرت حولها الأقوال، والآراء، ووجهات النظر التي رغم كثرتها فإن " كل ما قيل فيها لا يُحيط بكُليتها ، ولا يخرج عن ما هيتها ، فهي تتسع لكل قولٍ، وتنظم كل فعل ، وتصبح في النهاية تربيةً جيدةً أو سيئةً بحسب النظرات النقدية أو التقييمية التي تكشف عنها " (محمود قمبر ، ٢٠٠١م، ص ١١) .

من هنا فإن الكتابة في موضوع التربية الإسلامية تُعد أمراً ليس بالسهل ولا باليسير عند كثيرٍ من الكُتاب المتخصصين الذين قد يُفسر إحجامهم عن الكتابة بأنهم يشعرون تجاه هذا الموضوع بنوعٍ من التردد والهيبة ، لا لأنهم عاجزون عن ذلك ، ولكنهم يعلمون تماماً أنهم مُقبلون على أمرٍ له شأنٌ عظيم ، وعلاقةٌ وطيدة بتربية الإنسان المسلم خاصةً ، والأُمة المسلمة عامة .

وانطلاقاً من الشعور بعِظم المسؤولية ، والحرص على المشاركة في إبراز دور التربية الإسلامية في علاج وحل ما تُعانيه الأمم والمجتمعات المعاصرة من مُشكلاتٍ سببها الرئيس افتقادها لمعالم التربية الصحيحة التي أرادها الله تعالى لعباده ؛ جاءت مادة هذا الكتاب لتُسهم - ولو بقدرٍ يسيرٍ - في إيضاح الصورة الحقيقية للتربية الإسلامية التي -لا شك- أن هناك خلطاً كبيراً في استيعاب حقيقتها ومعناها ، وتعرّف موضوعها وطبيعتها ، والإلمام بخصائصها وأساليبها ، وغير ذلك من الجوانب التي ينبغي أن يعيها ويُدركها أبناء الأُمة الإسلامية في كل زمانٍ ومكان ؛ إذ إنه لا صلاح لهم ولا لأُمتهم في حاضرها ومستقبلها ؛ إلا بما صلُح به أولها وهو الاعتصام بكتاب الله

العظيم ، وسُنة رسوله الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ؛ فإن حاجة الأُمة المسلمة في وقتنا الحاضر إلى تعرّف حدود وأبعاد ومعالم التربية الإسلامية كعلمٍ من العلوم - التي تتميز وتنفرد بكونها علماً يجمع في مصدريته بين العلوم الإلهية والعلوم الإنسانية ويُبلورهما في قالبٍ واحدٍ - تُعد حاجةً ماسةً ولازمةً لصياغة الشخصية الإنسانية ، وصيانة هوية الأُمة ؛ لاسيما وأن كثيراً من الفلسفات والنظريات والاتجاهات والمدارس الفكرية التربوية؛ لم تنجح في الوصول إلى تربية الإنسان تربيةً صحيحةً شاملةً ، تُعِدُّه لتحمُّل ما هو مطلوب منه من مسؤولياتٍ وواجباتٍ لا غنى عنها لتحقيق أهدافه وغاياته الدينية والدنيوية .

من هنا فقد اشتمل هذا الكتاب على سبعة فصولٍ جاءت على النحو التالي :

- **الفصل الأول** : التربية الإسلامية (معناها ، مفهومها ، تعريفها ، طبيعتها ، مرادفاتها).
- **الفصل الثاني** : مصادر التربية الإسلامية .
- **الفصل الثالث** : الأهداف العامة للتربية الإسلامية .
- **الفصل الرابع** : خصائص و سمات التربية الإسلامية .
- **الفصل الخامس** : طرائق وأساليب التربية الإسلامية .
- **الفصل السادس** : مؤسسات التربية الإسلامية قديماً وحاضراً .
- **الفصل السابع** : من أعلام الفكر التربوي الإسلامي .

ولأن ما اشتملت عليه هذه الفصول السبعة لا يعدو كونه جزءًا من كلٍّ ، وغيضاً من فيض ؛ فقد سميتُ هذا الكتاب "**مُقدمة في التربية الإسلامية**" لأنه بمثابة المدخل المُيسّر الذي يُساعد القراء على اختلاف مستوياتهم لتَعَرُّفِ ماهية التربية الإسلامية ، وتسليط الضوء على بعض جوانبها الرئيسة التي لا غنى لطالب العلم عن معرفتها والإحاطة بها .

وفي الختام ، لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر ، وعظيم التقدير ، وصادق الدعاء ؛ لكل من أسهم في إتمام هذا الكتاب ، سائلاً الله -عز وجل- أن يتقبل مني هذا الجهد الذي لا أدعي فيه الكمال ، ولكنني اجتهدت فيه فما كان من توفيقٍ فذلك فضل الله تعالى ، وما كان من خطأٍ فمني ومن الشيطان . والله الهادي إلى سواء السبيل.

د . صالح بن علي أبو عرّاد

الفصل الأول

التربيـــة الإســـلامية

(معناها، مفهومها، تعريفها، طبيعتها، مرادفاتها)

- المعنـــى اللغـــوي للـتربيـــة.
- المعنـــى الاصـطلاحي للـتربيـــة.
- مفهـــوم التربيـــة الإسلاميـــة.
- تعـــريف التربيـــة الإسلاميـــة.
- طبيعـــة التربيـــة الإسلاميـــة.
- مـــرادفـــات التربيـــة الإسلاميـــة.

التربيـــة الإســلامية
(معناها ، مفهومها ، تعريفها ، طبيعتها ، مرادفاتها)

جرت العادة عند بداية الحديث على موضوعٍ ما أن يُوضَّحَ معناه ، وأن يُبيّن القصد منه . وفيما يلي توضيحٌ لمعنى كلمة التربية في اللُغة والاصطلاح ، إضافةً إلى بيان مفهوم وتعريف وطبيعة التربية الإسلامية .

معنى التربية لغـةً واصطـلاحاً :

يعود أصل كلمة التربية في اللغة العربية إلى الفعل (رَبَا) أي زاد ونما ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾(الحج) .

كما أن كلمة تربية مصدر للفعل (ربَّى) أي نشَّأَ و نمَّى ، وقد استخدمت بصفةٍ خاصةٍ للدلالة على عملية تنشئة الصغار ورعايتهم . وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾ (الاسراء) . وفي قوله ﷻ : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨﴾ (الشعراء) . وفي هذا المعنى قال الشاعر العربي القديم :

فمن يَكُ سائلاً عني فإني ... بمكةَ منزلي وبها رَبيتُ

كما ورد لفظ " يُرَبي " في الحديث النبوي بمعنى يُنَمي و يزيد ؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **من تصدَّق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيِّبٍ ، ولا يصعد إلى الله إلاَّ الطيِّبُ ؛ فإنَّ الله يتقبَّلُها بيمينه ، ثم يُرَبِّيها لصاحبه كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ ،حتى تكون مثل الجبل** ﴾ (البخاري، رقم الحديث ٧٤٣٠، ص ١٢٧٨).

وهنا يُمكن ملاحظة أن مدلول كلمة التربية في اللغة العربية تتفق مع معناها الذي وردت به في بعض آيات القرآن الكريم وألفاظ الحديث النبوي الشريف؛ فهو معنىً " يتضمن العناية والرعاية بالطفولة في مراحل العمر الأولى ، سواءً كانت هذه

العناية موجهةً إلى الجانب الجسمي أو إلى الجانب الخُلقي أو الروحي " (محمد شحات الخطيب وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٣) .

وقد يكون من معاني كلمة التربية في اللغة " **الإصلاح** " ، حيث جاء في المعجم : " رَبَّ الأَمْرَ : أَصْلَحَهُ " (محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ١٤١٥هـ، ص ٨٢) .

ولأن المعاجم اللغوية تُرجع الكلمة إلى حروفها الأصلية لإلقاء الضوء على مفهومها ؛ فإن كلمة " **تربية** " التي تتكون من خمسة حروف تعود في أصلها إلى حرفين أصليين هما الراء والباء (رب) ، ولهذين الحرفين عند اجتماعهما العديد من المعاني إذ " أن (**الراء و الباء**) يجتمعان على معنى السمو والإصلاح ، وتقوية الجوهر ، مع فروق طفيفة في تدرج هذا المعنى حيث يُستعمل للأمور المادية (ربا يربو) تعبيراً عن زيادةٍ ماديةٍ في جسم الأشياء ، بينما يُستعمل للإنسان والحيوان (رَبَّى يُربِّي) مثل خَفَّى يُخفي ، بمعنى ترعرع في بيئة معينة ؛ ويستعمل للأمور المعنوية (ربأ يربأ) لتكريم النفس عن الدنايا ، ويُستعمل للرقي بالجوهر : ربَّ يَرُبُ على وزن مدَّ يمُدُّ ، حتى نصل إلى (الرَّب) وهو خالق كل شيءٍ وراعيه ومصلحه ؛ فهو التربية الكاملة " (محمد خير عرقسوسي، ١٤١٩هـ ، ص ص ١٨ - ١٩) .

والخلاصة : أن المعنى اللغوي لكلمة التربية يدور حول معاني النمو، و الزيادة، والتنشئة ، والإصلاح ، والرعاية الكاملة للإنسان.

أما **المعنى الاصطلاحي** لكلمة التربية فيُقصد به المعنى الذي اتفق عليه المعنيون بالتربية واصطلحوا عليه للدلالة على العملية التربوية في زمنٍ معينٍ أو مكانٍ معين . وعلى الرغم من كون المعنى الاصطلاحي يعتمد كثيراً على المعنى اللغوي الذي يُستمد في الغالب منه ؛ إلا أنه يختلف من عصرٍ إلى عصر ، ومن مكانٍ إلى آخر ، ومن مجتمعٍ إلى مجتمع ؛ وما ذلك إلا لأن العملية التربوية كثيراً ما تتأثر بالعوامل والتغيرات والظروف الزمانية والمكانية التي تؤثر في مجموعها بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة على

شخصية الإنسان في مختلف جوانبها على اعتبار أن كل نشاطٍ ، أو مجهودٍ ، أو عملٍ يقوم به الإنسان يؤثر بطبيعة الحال في تكوينه ؛ أو طباعه ، أو تعامله ، أو تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل مع من فيها وما فيها ؛ إما سلباً أو إيجاباً .

من هنا فإن للتربية معاني اصطلاحيةً كثيرةً ومتنوعةً حيث "يرى كثيرٌ من رجال التربية والتعليم أن مصطلح (التربية) لا يخضع لتعريفٍ محدد ، بسبب تعقد العملية التربوية من جانب ، وتأثرها بالعادات ، والتقاليد ، والقيم ، والأديان ، والأعراف ، والأهداف من جانبٍ آخر . بالإضافة إلى أنها عملية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان، ويمكن القول بأن التربية تدخل في عداد المسائل الحية لأنها تتسم بخاصية النمو " (عبد الرحمن بن حجر الغامدي ، ١٤١٨هـ، ص ٣) .

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف في تحديد المعنى الاصطلاحي للتربية إلا أنه يُمكن القول : إنه لا يخرج في العموم عن كونه **تنمية وزيادة الوظائف الحيوية المختلفة عند الإنسان ، حتى تبلغ كمالها ، ورقيها ، وتمامها الذي خُلقت له ، عن طريق التدريب ، والتثقيف ، والتعليم ، والتهذيب ، والاستمرار ، والممارسة .**

❖❖❖❖❖❖❖

مفهوم التربية الإسلامية وتعريفها :

قبل البدء في بيان مفهوم التربية الإسلامية وتعريفها ، أرى أنه لا بُد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين المفهوم والتعريف في اللغة العربية ؛ فالمفهوم يعني " مجموع الصفات والخصائص الموضِّحَةِ لمعنى كُلّي " (المعجم الوجيز ، ١٤٠٠هـ ، ص ٤٨٣) .

أما التعريف فيُقصد به " تحديد الشيء بذكر خواصه المُميزه " (المعجم الوجيز، ١٤٠٠هـ ، ص ٤١٥).

ومعنى هذا أن المفهوم يكون شاملاً ، وواسعاً ، ومعتمداً على ما يتم استيعابه عن طريق العقل . أما التعريف فهو توصيفٌ لشيءٍ مُحدد ودقيق ومتفق عليه إلى حدٍ ما .

وعلى الرغم من كثرة الكتابات حول مفهوم التربية وتعريفها ؛ إلا أن الملاحظ أن هناك تداخلاً فيما بينها عند كثيرٍ من الكُتاب والباحثين ، فهناك من يتحدث عن المفهوم ثم لا يلبث أن ينتقل مباشرةً إلى التعريف في تداخلٍ عجيبٍ لا يمكن معه الفصل بينهما ، والعكس صحيح . وفيما يلي محاولةٌ لبيان وتوضيح المقصود من مصطلح مفهوم التربية الإسلامية كعمليةٍ شاملةٍ ونظامٍ متكاملٍ ، ثم تحديدٍ دقيقٍ لتعريفها كمصطلحٍ علميٍ مستقل .

أولاً : مفهوم التربية الإسلامية :

هناك اختلافٌ كبيرٌ بين المهتمين بالعملية التربوية حول مفهوم التربية حيث تتعدد الآراء ووجهات النظر في هذا الشأن ؛ نظراً لتعدد الأطراف المُشاركة في العملية التربوية، واختلاف الزوايا التي يُنظر من خلالها لهذه العملية ؛ إضافةً إلى اختلاف المُعتقدات ، والاتجاهات ، والآراء ، والثقافات ، والفلسفات ، واختلاف ظروف الزمان والمكان ونحو ذلك من العوامل الأخرى .

ومع أن هذا الاختلاف في تحديد مفهوم التربية يُعد أمراً مقبولاً - نسبيًّا - عند أصحاب الفلسفات والنظريات والمذاهب التربوية البشرية نظراً لما تُبنى وتقوم عليه من الاجتهادات ، والأفكار ، ووجهات النظر المُختلفة ؛ إلا أنه غير مقبول في ميدان التربية الإسلامية التي تنطلق في تحديد ذلك من مصادر رئيسةٍ ومُحددةٍ لا مجال فيها للاجتهادات والآراء والأفكار البشرية المُتباينة . ومع ذلك فإننا " إذا نظرنا إلى الدراسات التربوية المعاصرة وجدنا مفهوم التربية الإسلامية لم يكن موضع الاتفاق بين الدارسين بعد . ويمكن إجمال أغلب المفاهيم في النقاط التالية :

(١) أنه منهج مقررات المواد الإسلامية في المدارس .

(٢) أنه تاريخ التعليم ، أو تاريخ المؤسسات التعليمية ، أو تاريخ أعلام الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي .

(٣) أنه تعليم العلوم الإسلامية .

(٤) أنه نظام تربوي مستقل ؛ ومنبثق من التوجيهات والتعاليم الإسلامية الأصيلة ، ويختلف عن النظم التربوية الأخرى شرقية كانت أوغربية " (مقداد يالجن ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٣) .

وبنظرةٍ سريعةٍ إلى المفاهيم السابقة يمكن ملاحظة أن معظم هذه المفاهيم قد حصرت التربية الإسلامية في نطاقٍ ضيقٍ لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه هذا المفهوم من شموليةٍ واتساع ؛ فالتربية الإسلامية لا تنحصر في ما تُقدمه المدارس والمعاهد والكليات من المواد والمقررات الدراسية التي تحمل اسم (المواد الدينية أو مواد التربية الإسلامية)، ولا تقتصر على عملية تدريس العلوم الشرعية، كما أنها لا تتحقق في مجرد التركيز على دراسة الجانب التاريخي للعملية التعليمية، أو استعراض تاريخ مؤسساتها، أو دراسة سير بعض أعلامها عند المسلمين ؛ ولكنها أعمق من ذلك وأوسع وأشمل ؛ فهي نظامٌ علميٌ وعمليٌ مُستقلٌ يمتاز بشموله لجميع مجالات الحياة الفردية والمجتمعية وتكاملها، ".. وهكذا يتسع مفهوم التربية الإسلامية ليبدأ من الخالق ، ويُثني بالقدوة رسول الله ﷺ، ثم يُحمّل الفرد مسؤوليةً عن تربية نفسه فيقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾ (الشمس) ، ثم يُحمّل المجتمع مسؤولية تربية أفراده ، ومسؤولية السمو بأهدافه الاجتماعية فيقول : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠) . وبهذا يتضح أن مفهوم التربية الإسلامية لغةً واصطلاحاً يختلف تمام الاختلاف عن التربيات غير الإسلامية " (محمد خير عرقسوسي، ١٤١٩هـ، ص ٢٦) .

وانطلاقاً من ذلك يُمكن القول : إن التربية الإسلامية تُعنى كثيراً ببناء وإعداد الفرد ليكون إنساناً صالحاً في كل شأنه عن طريق تعريفه بربه وخالقه ﷻ ، ثم تصحيح عقيدته والمحافظة على فطرته نقيةً صافية ؛ فإذا تحقق ذلك أصبح من الممكن

توجيهه الوجهة الصحيحة التي لا شك في أن أثرها سيمتد إلى المجتمع من حوله ، فيصبح مجتمعاً صالحاً ملتزماً بأوامر الله تعالى ، منتهياً عن نواهيه . وهذا يعني أن مفهوم التربية الإسلامية يُعد مفهوماً شاملاً لكل ما يهم الإنسان في حياته وبعد مماته ؛ فهو مفهومٌ متكاملٌ ينظر إلى الإنسان نظرةً شموليةً لكل جوانب شخصيته وأبعادها الرئيسة (**الروحية ، والعقلية ، والجسمية**) . وهو مفهومٌ يُعنى بجميع مراحل النمو عند الإنسان ، وهو مفهومٌ يوازن بين مطالب الفرد وحاجات المجتمع ، ويهتم بجميع الأفراد والفئات ، ويوائم بين الماضي والحاضر . إضافةً إلى أنه يُشير إلى نظامٍ تربويٍ مستقلٍ ، له أصوله الثابتة ، ومناهجه الأصيلة ، وأهدافه الواضحة ، وغاياته السامية ، ومؤسساته المختلفة ، وأساليبه المتنوعة...إلخ . التي تُميزه عن غيره ، وتوسع دائرته ليُصبح منهجاً كاملاً لجميع مجالات الحياة الفردية والمجتمعية في كل زمانٍ ومكان.

من هنا فقد حاول بعض المهتمين في ميدان التربية الإسلامية تحديد سمات المفهوم الشامل للتربية الإسلامية ؛ وكان من أفضل ما جاء في هذا الشأن أن " سمات المفهوم الشامل للتربية الإسلامية تبرز فيما يلي :

أ) **أنه مفهوم مصبوغ بالصبغة الإسلامية** : وهي سمةٌ تُميز التربية الإسلامية عن غيرها من أنواع التربية قديماً وحاضراً ؛ لأنها مرتبطةٌ بأصولها التي أكسبتها هذا التفرد والتميز .

ب) **أنه مفهوم يعتمد على أصولٍ راسخةٍ** مشتقة من كتاب الله العظيم ، وسُنة رسوله الكريم ﷺ التي تُعد بمثابة الإطار الفكري الذي يتم من خلاله توجيه الممارسات التربوية المختلفة .

ج) **أنه مفهوم يتصف بالشمول**، ومن مظاهر الشمول فيه ما يلي:

- أن التربية الإسلامية تجمع بين مثالية الأصول وواقعية التطبيقات والممارسات التربوية .

- أن التربية الإسلامية تجمع بين الأصالة والمعاصرة في نظامٍ تربوي متطورٍ ضمن إطار الأصول الإسلامية . فهي بذلك متطورةٌ وقادرةٌ على مسايرة العصر ومواجهة مشكلات العصر .
- أن التربية الإسلامية ترمي إلى تنمية الشخصية المتكاملة للإنسان(روحيًّا ، وعقليًّا ، وجسميًّا)، كما تسعى إلى تنمية الجانبين المادي والمعنوي عند الإنسان ، وتسعى إلى بناء مجتمعٍ مسلمٍ ، وتكوين أُمةٍ مسلمة .

د) أنه مفهوم يُشير إلى نظامٍ تربويٍ متكامل له أصوله ومنابعه وإجراءاته في تنشئة الإنسان المسلم ؛ فالتربية الإسلامية ليست تعليماً فحسب بل هي منهج حياة شاملٍ ، ونظام تربيةٍ متكامل له أهدافه ومناهجه ، ومعلميه وطلابه ، ومؤسساته ومراحله ، وأساليبه ووسائله ،...إلخ " (محمد شحات الخطيب وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ص ٤٧ - ٥١) [بتصرف].

والخلاصة : أن مفهوم التربية الإسلامية يتضح في كونها أحد فروع علم التربية الذي يتميز في الغاية والمصدر ، ويهتم ببناء وإعداد الشخصية المسلمة المتكاملة ، ويقوم على نظامٍ تربويٍ مستقلٍ ومُستمدٍ من الأصول الشرعية الإسلامية ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على معرفة الواقع وظروفه ، ولابد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة وعلوم التربية ؛ حتى تتم معالجة القضايا التربوية من خلاله معالجةً إسلاميةً صحيحةً ومناسبةً لظروف الزمان والمكان .

ثانياً : تعريف التربية الإسلامية :

انطلاقاً من الاختلاف - الذي سبقت الإشارة إليه - بين المهتمين في المجال التربوي حول مفهوم التربية فإن هناك اختلافاً مشابهاً في تحديد تعريف التربية الإسلامية كمصطلحٍ علمي ، حيث إن معظم من كتب في هذا الميدان من سلفنا الصالح لم يحرصوا على إيراد تعريفٍ محددٍ لهذا المصطلح بقدر اهتمامهم وحرصهم

على النجاح في معالجة الموضوعات والقضايا التربوية في جميع جوانبها المختلفة معالجةً إيجابيةً وفاعلة . ولذلك فإن تعريفاتهم للتربية جاءت متشابهةً إلى حدٍ ما ، وتدور في فلكٍ واحدٍ ومعنىً مُتقارب جداً ؛ فقد جاء أن " الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية . وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً " (ناصر الدين البيضاوي ، د . ت ، ص ٣) .

وجاء في تعريفٍ آخر عند ابن سينا أن " التربية هي العادة ، وأعني بالعادة فِعْلُ الشيء الواحد مراراً كثيرةً ، وزماناً طويلاً في أوقاتٍ مُتقاربة " (نقلاً عن مقداد يالجن، ١٤٠٩هـ ، ص ١٦) .

كما أنه أورد تعريفاً آخر يرى فيه أن المقصود بالتربية : " إبلاغ الذات إلى كمالها الذي خُلقت له "(نقلاً عن مقداد يالجن ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٦) .

وهناك من يرى أن " الرب في الأصل التربيةُ ، وهو إنشاءُ الشيءِ حالاً فحالاً إلى حَدِّ التمام ، يُقالُ رَبَّهُ ، ورَبَّاهُ ، و رَبَّبَهُ . وقيل : (لأنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ). -ولا يُقالُ الرَّبُّ مُطْلَقاً إلا لله تعالى- وبالإضافة يُقالُ له ولغَيْرِهِ" (الراغب الأصفهاني ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٣٦) .

أما عند الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بالكتابة والبحث في ميدان التربية الإسلامية فعلى الرغم من اتفاقهم في الإطار العام للتربية الإسلامية ؛ إلا أنهم لم يصلوا إلى صيغةٍ واحدةٍ يتفقون عليها جميعاً لتعريفٍ محددٍ وواضحٍ لهذا المصطلح ، ولعل ذلك راجعٌ إلى اختلاف مشاربهم ، وتباين تخصصاتهم ، وتعدد وجهات نظرهم التفصيلية . وهو ما يُمكن أن يُلاحظ في عرضنا التالي لبعض التعريفات التي اجتهد فيها أصحابها ، فقد عُرِّفت التربية الإسلامية بأنها " تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه، وعواطفه على أساس الدين الإسلامي" (عبد الرحمن النحلاوي ، ١٤٠٣هـ، ص ١٠٨) .

كما أنها عُرِّفت بأنها " إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والأخرة في ضوء المبادىء والقيم وطرق التربية التي جاء بها

الإسلام " (مقداد يالجن ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٠) .

وهناك من عرَّفها بأنها " النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل " (زغلول راغب النجار ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٥) .

كما أن هناك من يرى أن المقصود بالتربية الإسلامية " ذلك النظام التربوي والتعليمي الذي يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسُّنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته " (عبد الرحمن النقيب ، ١٤١٧هـ ، ص ٢١) .

والملاحظ على ما سبق من تعريفاتٍ أنها تؤكد في مجموعها على أن التربية الإسلامية نظامٌ تربويٌ مستقلٌ ومتميز ؛ إذ إنه يقوم على مصادر الدين الإسلامي الخالدة ، ويستمد تعاليمه و توجيهاته من هذه المصادر في كل شأنٍ من شؤون حياة الإنسان ، وفي كل جزئيةٍ من جزئياتها .

وهنا يمكن القول : إن التعريفات السابقة تؤكد جميعاً أن التربية الإسلامية نظامٌ تربويٌ شاملٌ مُستقلٌ ، يهتم بإعداد الإنسان الصالح و المجتمع الصالح إعداداً متكاملاً دينيًّا ودنيويًّا اعتماداً على المبادئ والتعاليم والمنهجية الإسلامية المستمدة من مصادر الدين الإسلامي الحنيف .

❖❖❖❖❖❖❖

طبيعة التربية الإسلامية :

سبق أن عَرفْنَا أن التربية عملية اكتساب خبرة ، وعملية إعداد للحياة ، وعملية فردية اجتماعية، وأنها غير محصورة في التعليم، ولا في التدريب، ولا التعويد، ولا الأخلاق ؛ ولكنها عملية نمو شاملة للشخصية الإنسانية في مختلف جوانبها الروحية والعقلية والجسمية، و لا يتركز اهتمامها على جانبٍ دون الآخر ؛ فهي منهجٌ شاملٌ لكل ما له علاقةٌ بالعملية التربوية اللازمة للإنسان. وهذا يعني أن طبيعة التربية الإسلامية " لا تعني ذلك الجزء من المنهج الذي يهتم بتلقين المتعلمين التعاليم الإسلامية

في الجانب الاعتقادي والعبادات وكفى، ولا تعني ذلك الجزء من المنهج الذي يقوم بتعليم الناشئة المبادئ الأخلاقية الإسلامية فقط ؛ وإنما تعني منهجاً كاملاً للحياة، وللنظام التعليمي ومكوناته " (علي خليل أبو العينين ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٣٣) [بتصرف].

من هنا فإنه يمكن القول : إن طبيعة التربية الإسلامية تنطلق من كونها أحد فروع علم التربية ، الذي يمتاز بأنه يجمع بين كونه (عِلماً) و (عَملاً) ؛ فالتربية علمٌ له أُسسه وأصوله ؛ وأهدافه وغاياته التي تسعى إلى معرفة الحقيقة والإيمان بها. وهي عملٌ أو نشاطٌ هادفٌ ومثمرٌ ومنظم ؛ له العديد من الضوابط والطرائق التي تجعل منه نشاطاً إيجابيًّا ، وفنًّا إبداعيًّا ، يمكن تطبيقه في واقع الحياة . وهو ما يتضح في كون طبيعة التربية الإسلامية تُبرزها ثلاثة عناصر هي :

أ - **الأصول :** وهي تلك المفاهيم والقيم والأساليب والاتجاهات المتضمنة في آيات القرآن وسنة الرسول ﷺ ، وتتصل بتربية جوانب شخصية الإنسان المختلفة .

ب - **الفكر التربوي الإسلامي :** وهو مجموعة الآراء والأفكار والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء ، والفلاسفة ، والعلماء المسلمين ؛ وتتصل اتصالاً مباشراً بالقضايا والمشكلات التربوية .

ج - **الممارسات والتطبيقات التربوية :** التي صدرت وتصدر عن المربين المسلمين عبر العصور المختلفة " (محمد شحات الخطيب وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٤ ، نقلاً عن سعيد إسماعيل علي) .

ويُمكن توضيح المقصود بهذه العناصر الثلاثة على اعتبار أن الأصول تتمثل في المصادر الرئيسة التي تستقي التربية الإسلامية منها المفاهيم ، والقيم ، والأساليب ، والاتجاهات ذات العلاقة بتربية الإنسان في مختلف جوانب شخصيته . وبذلك تكون الأصول هي المصدر الذي تُستنبط منه تلك الآراء والأفكار والنظريات ذات العلاقة بالقضايا التربوية ، مكونةً في مجموعها الفكر التربوي الإسلامي الذي يقوم به

العُلماء ، والفقهاء ، والمفكرون المسلمون ، مُشكِّلين بذلك الإطار الفكري للتربية الإسلامية ؛ الذي يُمكن ترجمته إلى مُمارساتٍ وتطبيقاتٍ تربويةٍ عمليةٍ عن طريق المربين المسلمين .

والخلاصة أن طبيعة التربية الإسلامية تتمثل في كونها منهجاً ونظاماً متكاملاً يشمل جميع جوانب حياة الإنسان ، ويجمع بين العلم النافع والعمل المفيد ، الذي يتم تحقيقه عن طريق الممارسات أو التطبيقات التربوية التي تأتي ترجمةً للفكر التربوي الإسلامي النابع من الأصول الشرعية الثابتة . والشكل التالي يوضح العناصر التي تُشكل في مجموعها طبيعة التربية الإسلامية . (أنظر الشكل ١) .

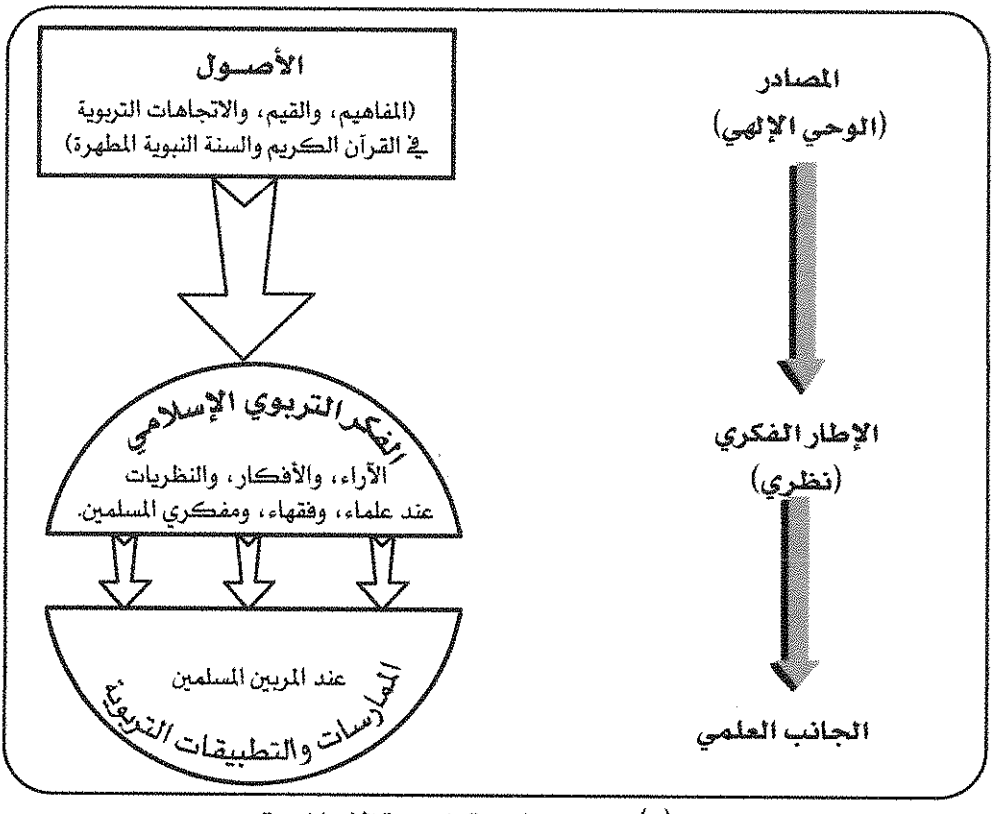

شكل (١) عناصر طبيعة التربية الإسلامية

بعض مرادفات مصطلح التربية الإسلامية

تمهيد :

لم يرد مصطلح التربية الإسلامية بهذا اللفظ في آيات القرآن الكريم ، ولا في نصوص أحاديث رسول الله ﷺ ، ولكنه ورد بالفاظٍ أُخرى تدل في معناها على ذلك . كما أن هذا المصطلح لم يُستعمل في تراثنا الإسلامي لا سيما القديم منه ؛ وإنما أشار إليه بعض من كتب في هذا المجال بألفاظٍ أو مصطلحاتٍ أو مرادفاتٍ أخرى قد تؤدي المعنى المقصود ؛ أو هي قريبة منه ، حيث " تعتبر كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة مرتبطةً بحركة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن العشرين ؛ ولذلك لا نجد لها استخداماً في المصادر العربية القديمة " (محمد منير مرسي ، ١٤٢١هـ ، ص ٤٨) .

وليس هذا فحسب ؛ فإن الدراسات والأبحاث والكتابات التربوية المُتخصصة من المنظور الإسلامي لم تُعرَّف إلا منذ ما يقرب من نصف قرنٍ من الزمن ، أما قبل ذلك فلم تكن معروفةً بصفتها المُستقلة التي تُعرف بها في وقتنا الحاضر ، فقد "بدأت الدراسات المهتمة بالتربية الإسلامية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، واقتصرت في مجموعها على تاريخ التربية في الإسلام ؛ مثل كتاب (**التربية والتعليم في الإسلام**) للأُستاذ / محمد أسعد أطلس عام (١٩٥٧م) . و (**التربية في الإسلام وفلاسفتها**) لمحمد عطية الأبراشي عام (١٩٦٠م) . و(التربية في الإسلام) للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، والذي يُعتبر من الكتب الرائدة " (عباس محجوب ، ٢٠٠٠م ، ص ١٥) .

ثم توالى بعد ذلك ظهور العديد من الكتابات والدراسات المهتمة بالتربية الإسلامية والتي يُمكن القول : إن بعضاً منها كانت أكثر عمقاً ، وأفضل منهجيةً في طرحها لمختلف القضايا التربوية الإسلامية المعاصرة .

أما الألفاظ والمصطلحات التي كانت تُستخدم في كتابات السلف للدلالة على

معنى التربية ؛ فمنها ما يلي :

١) **مصطلح التنشئة** ويُقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر ؛ ولذلك يُقال : نشأ فلان وترَعْرَع . قال الشاعر العربي :

وينشأُ ناشئُ الفتيان فينا .... على ما كانَ عَودهُ أبوهُ

وممن استخدم هذا المصطلح العالم عبد الرحمن بن خُلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ) في مقدمته الشهيرة بمقدمة ابن خُلدون .

٢) **مصطلح الإصلاح أو التقويم** وهو ضد الإفساد والانحراف ، ويُقصد به العناية بالشيء والقيام عليه ؛ لإصلاح اعوجاجه وتقويم انحرافه . وهذا يعني أن هذا المصطلح وإن كان قد استُخدم للدلالة على معنى التربية الإسلامية بعامة ؛ إلا أنه في واقع الأمر لا يدلُ إلا على جزئيةٍ منها ، وهي التقويم والإصلاح ؛ إذ إن " الإصلاح يقتضي التعديل ، والتحسين ، ولكن لا يلزم أن يحصل منه النماء والزيادة ، فهو إذاً يؤدي جزءًا من مدلول التربية " (خالد حامد الحازمي ، ١٤٢٠هـ ، ص ٢٣) .

٣) **مصطلح التأديب أو الأدب** ويُقصد به التحلي بالمحامد من الصفات والطباع والأخلاق؛ والابتعاد عن القبائح . ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء . وهو ما عُرِف في لغة العرب قديماً فقد " كانت كلمة (تأديب) هي المستعملة والمتداولة أكثر من كلمة تربية ، وكان المدلول الأول لكلمة (أدب) في تلك البيئة العربية يُطلق على الكرم والضيافة ، فكان يُقال : فلانٌ أَدَبَ القومَ إذا دعاهم إلى طعام...وهكذا كان مدلول كلمة (تأديب) منصرفاً بالدرجة الأولى إلى الجانب السلوكي من حيث علاقة الإنسان مع غيره " (علي إدريس ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٣) .

وهنا نلاحظ أن مصطلح الأدب أو التأديب وثيق الصلة بمصطلح التربية حيث يمكن أن تُشتق منه تسمية المعارف آداباً ؛ وتسمية التعليم تأديباً ، وتسميةُ المربي أو المعلم مؤدباً . فقد ورد أن " المعلم هنا (أي في القصور) لا يُسمى معلم صبيان أو معلم

كُتَّاب ، وإنما يُطلق عليه لفظ "مؤدِّب" وقد اشتق اسم المؤدب من الأدب ، والأدب إما خُلقٌ وإما رواية ، وقد أطلقوا كلمة مؤدب على معلمي أولاد الملوك إذ كانوا يتولون النـاحيتين جميعًـا " (أحمـد شلبي ، ١٩٧٨م ، ص ٥٨) نقلاً عن (رسـالـة المعلمين للجاحظ) .

ومصطلح الأدب أو التأديب مصطلحٌ شائعٌ ورد في بعض أحاديث النبي ﷺ ومنها :

❖ ما روي عن جـابر بن سمـرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال : " **لأن يؤدِّب الرجل ولده خيرٌ من أن يتصدَّق بصاع**" (الترمذي ، رقم الحديث ٢٠١٧ ، ص ٢٢٧) .

❖ ومـا روي عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : "**ما نحَل والدٌ ولداً من نَحْلٍ أفضـل من أدبٍ حسنٍ**" (الترمذي ، رقم الحديث ٢٠١٨ ، ص ٢٢٧) .

❖ ومـا روي عن أنس بن مـالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قـال : "**أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم**" (ابن ماجة ، رقم الحديث ٣٦٧١ ، ص١٢١١).

وهنا نلاحظ من معاني هذه الأحاديث أن لفظ الأدب يدل دلالةً واضحةً ومُباشرةً على الجانب الخُلقي من العملية التربوية، وهو جانب التحلي بمحاسن الأخلاق، وجميل الطباع.

كما أن هـذا المصطلح قد شاع استعمـاله عنـد كثيرٍ من العلمـاء والفقهاء والمفكرين المسلمين القدامى، منهم : ابن سحنون (المتوفى سنة٢٥٦هـ) في رسالته (آداب المعلمين والمتعلمين) ، وأبو الحسن الماوردي (المتوفى سنة٤٥٠هـ) في كتابه (أدب الدنيا والدين) ، كما استخدمه الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) . والإمام عبد الكريم السمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢هـ) في كتابه (أدب الإملاء والاستملاء) .

٤) **مصطلح التهذيب** ويُقصد به تهذيب النفس البشرية، وتنقيتها، وتسويتها بالتربية على فضائل الأعمال ومحاسن الأقوال. جاء في المعجم " التَّهْذِيبُ التَّنْقِيَةُ ، ورجلٌ مُهَذَّبٌ أي مُطَهَّرُ الأَخْلاقِ " (الرازي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٤٥) .

وقد استعمل هذا المصطلح للدلالة على معنى التربية العالِم ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١هـ) في كتابه (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) ، كما استخدمه الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ) في رسالته (تهذيب الأخلاق) .

٥) **مصطلح التطهير** ويُقصد به تنزيه النفس عن الأدناس التي تتمثلُ في كل قولٍ أو فعلٍ قبيح . وحيث إن للتطهير معنيين : أحدهما حسيٌّ يُقصد به النظافة من النجاسات والقاذورات ؛ والآخر معنوي يُقصد به تطهير النفس البشرية بجميع جوانبها من كل ما لا يليق بها من الخصال والصفات والطباع؛ فإن المقصود بالتطهير هنا المعنى المعنوي .

٦) **مصطلح التزكية** ويأتي بمعنى إصلاح الشيء وتطهيره وتنميته ، ولعل المقصود بذلك تنمية جميع جوانب النفس البشرية بعامةٍ ، وإصلاح خللها وتطهيرها من كل ما لا يليق بها من الصفات السيئة ، والخصال القبيحة ، ظاهرةً كانت أوباطنة . "وتعني التزكية الإصلاح والتطهير والتنمية ، وتضمن تعديل السلوك بانتزاع ما هو غير مرغوب ، وغرس وتعزيز ما هو مرغوب ، ويُركز على تنمية الإنسان من جميع جوانبه ، وتهذيب سلوكه ، وتطهيره من العادات والتقاليد والقيم غير الإسلامية ؛ ثم إيجاد البديل ليصبح السلوك مرغوباً فيه " (سيف الإسلام علي مطر ، ١٤٠٧هـ ، ص ٤٩٦) .

وقد ورد مصطلح التزكية بمعنى التربية في بعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ (البقرة) . وقد جاء أن المقصود بتفسير قوله تعالى : "وَيُزَكِّيكُمْ" في هذه الآية : " أي يُطهر أخلاقكم ونفوسكم ، بتربيتها على الأخلاق الجميلة ، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة " (عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ١٤١٧هـ، ص ٥٧) .